

لقاء قناة بلادي بالدكتور إبراهيم الجعفري
2010/3/2
(دولة الإنسان والانتخابات)

المقدم: أنت رفعت شعار (دولة الإنسان)، ما المقصود به؟

الجعفري: الإنسان من وجهة نظرنا هو القيمة العليا في الحياة، وكل شيء في هذا الوجود في خدمته؛ ولذلك اختاره الله (تبارك وتعالى)، ليكون خليفته في الأرض دون بقية المخلوقات، فهو أشرف المخلوقات من دون استثناء.. من هذا المنطق الإنسان منطلق وهدف ووسيلة.. نريد دولة وليست حكومة تنتهي بفصل أو فصلين.. نريدها دولة ترسي قواعدها على قاعدة الإنسان أو المجتمع.

الإنسان بحاجة إلى أن نخدمه، ونحترمه، وهو محور حركة الدولة؛ لذا نتطلع إلى رعاية الفقراء كخطوة أولى، ثم نرحل من كوننا نرعى الفقير إلى أن نلغي الفقر في العراق؛ فيتحول الفقير إلى غني.

محور حركتنا هو الدولة وليس الحكومة، ويجب أن نعتمد كل الوسائل التي تدخل في مكنوناته وصيرورته، وتصهره، وتوجد إنساناً غير مضطهد، ولا مطارذ، ومُصان الحقوق، ويدرك حقوقه وواجباته.

المقدم: على مدى عقود تثقف الناس على أنهم في خدمة العناوين الكبرى كالعقيدة وخدمة الوطن.. هل فعلاً العقائد جعلت الإنسان فداءً لها أم إن الشرائع أنزلت من الله (تعالى)، لخدمة الإنسان؟

الجعفري: الفكر بمعرفيته وتنظيراته وكل ما يرتبط به في خدمة الإنسان، ولو سألنا الأنبياء (عليهم أفضل الصلاة والسلام) والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بماذا بُعثت، سيقول لك: بُعثت لتربية الإنسان، وتشكيل شخصيته.

وحين يصلح الإنسان يصلح كل شيء، وحين يعمر الإنسان يعمر كل شيء، وحين يعاني الإنسان تعاني كل القيم، فالفكر جاء لتربية الإنسان، وكل شيء جاء من أجل الإنسان، باعتباره خليفة الله - تبارك وتعالى - ورأينا الحروب التي اجتاحت العالم الأولى والثانية وحصاد القرن العشرين كانت بسبب خروج الإنسان عن جادة الاستقامة فعندما نضمن أن الإنسان أخذ طريقه في البناء والتكامل تتحقق دولة الإنسان.

المقدم: هل توافق من يقول: إن (الإنسان) في العراق دمرّ البشر أكثر من الحجر في العقود الماضية، كأمل ونفسية؟

الجعفري: محاولات التدمير التي وُجّهت على شكل تمويج، موجة بعد أخرى، وُجّهت للعراقيين كثيراً جداً، ولو وُجّهت إلى أي بلد من بلدان العالم لأصبح رماداً تذروه الرياح.

استطاع هذا الشعب بفضل ثروته المعنوية أن يصمد، إليك هذا المثل البسيط: في الناصرية سيدة اعتقد أن اسمها (رسمية) أم عادل قدمت سبع شهداء وأحد أبطالها اسمه سلمان نفذ عملية اغتيال عدي صدام، إذا نظرت إليها تجدها كالجبل.. هذا معناه توجد ثروة.

المقدم: ألا يترتب على هذا استحقاقات كبيرة على المسؤولين والسياسيين؟

الجعفري: بكل تأكيد، كلنا مقصرون، ولا يكفي أن تكون نوايانا طيبة، ولا يكفي أن نشد العزم، ونقول: نريد أن نصنع، ونأتي هنا لننتقل من الدوافع الخيرة والبرامج إلى الشخصيات أصحاب الاختصاص من النساء والرجال الذين يستطيعون أن يحولوا هذه الأهداف من مجرد تمنيات إلى أمور تتحرك على الأرض؛ لذا نحتاج إلى مختصين في كل المجالات.

المقدم: هل تعتقد أن البرنامج الذي طرحه الائتلاف يصبّ باتجاه إقامة دولة الإنسان التي ترعى الفقراء، وتحترم الإنسان؟

الجعفري: من الناحية النظرية بكل تأكيد، المواد التي دُوّنت فيه مستوحاة من الدستور العراقي.

المقدم: هل يكفي من الناحية النظرية؟

الجعفري: لذلك أنا أقول من الناحية النظرية، نحن لسنا بصدد مطاردة شعيرية أو مناكفات ثقافية، أو حوار ثقافي تجريدي.. نحن بصدد تحويل الدستور إلى مواد تنبض بالحياة، وتكون المؤسسات ملزمة بالدستور، ونلزم المسؤول في كل مرفق من مرافق الدولة بأن يعمل ضمن الدستور، الذي صوّت عليه الشعب؛ لأنه يحقق طموحاته، فلا يكفي أن ندوّن برنامجاً بمقدار ما، إنما نحول هذا البرنامج إلى جانب عملي، ونتلمس، وننظر لكيفية تحويل البرنامج إلى خطوات عملية، وهذا ليس بمستحيل.

المقدم: هل العمل السياسي منذ سبع سنوات تم بروح التنافس أم بروح التسقيط المتبادل أم بروح العرقلة المتبادلة، على الصعيد الحكومي وعلى الصعيد السياسي بشكل عام؟

الجعفري: الحالات كلها كانت موجودة.

المقدم: أيها كانت الأقوى؟

الجعفري: من الصعب أن أحدها لك؛ لأنها ليست رياضيات، إنما هي متداخلة العوامل.. علينا أن نفكر في توسيع دائرة التنافس، وخنق دائرة التحارب.

المقدم: هل هناك مراجعة للأداء السابق للائتلاف؟

الجعفري: نعم.. الأشهر التي سبقت الاتفاق على الائتلاف الحالي مرت بفصل من تقييم المرحلة السابقة، والوقوف على الأخطاء، وأتمنى أن تكون الأخطاء ماثلة أمامنا لا؛ لأننا نراوح، ونتهيب إنما حتى نصمم على التجاوز؛ حتى لا نكرر الخطأ مرة أخرى، بل يفترض بنا أن نستحضر الأخطاء، ونتعلم منها؛ لأننا مُصرون على أن نسدي خدمة للبلد، ونصعد بالبلد في أقرب وقت ممكن، ونأخذه إلى ما ينبغي أن يصل إليه.

المقدم: هناك من يقول: إن الائتلاف الوطني الحالي مُعرض للتفكك في الانتخابات، إلى أي مدى تعتقد هذا الرأي؟

الجعفري: الثوابت التي وُضعت في الائتلاف تتكفل بأن تحافظ على وحدته، لكن لا أحد يجزم، وكل شيء في السياسة محتمل. لا نكتفي بالاتفاق إنما نواصل جهدنا من أجل أن نذكر الجميع، ونذكر أنفسنا بأننا نعمل من أجل أن نلتزم بهذه الثوابت والمشاركات الوطنية، بل تمتد طموحاتنا إلى أبعد من ذلك، بأن نمتمد إلى الآخرين، فنحن بأمر الحاجة لأن نجسّر العلاقة مع الكتل والقوائم الأخرى، فلا يستطيع أحد أن يقول: إن قائمتي تمثل العراق كله، وحتى إذا حصلت على ما تريد فهذا لا يعني أننا تستغني عن الآخرين، من يتصدى للدولة يفكر بكل الشعب من دون استثناء حتى الذي لا يفوز في الانتخابات والذي لم يدخل البرلمان.

المقدم: ألا تعتقد أن الطاقم السياسي في العراق وصل إلى هذا المستوى من الوعي السياسي من خلال التجربة بحيث يفتح على الآخر، ولا يعتبر كل آخر ضدًا أو ملغياً؟

الجعفري: لم يصل إلى هذا، لكن بكل تأكيد هناك فرق كبير عن زمن الانطلاقة، فأنا اليوم أرى كثيراً من الكلمات قد غابت، منها الطائفية، والشخصنة والمناطقية والحزبية وكثير من الأمور بدأت تتراجع فيما بدأت الآن مفردات كثيرة في الخطاب، وهذه إما انعكاس عن قناعة أو تسليم بأمر الواقع، وإما ثقافة التزام أو ثقافة إلزام، وكل هذه الحالات شيء جيد.

المقدم: هل تطرح نفسك لرئاسة الوزراء، خصوصاً أنك صاحب تجربة؟

الجعفري: حياتي وتجربتي وكل شيء أنا أسخره من أجل شعبي، لكني لا أنظر إلى هذا برغبة ذاتية بمقدار ما هو استجابة لحاجة وطنية، وحين أشعر أن الشعب يشير عليّ بقبول موقع ما، فلن أتردد.

المقدم: هل يكفي أن يشير الشعب أم إن هناك مواقف سياسية؟

الجعفري: هي هذه الخطيئة التي ارتكبت بحق الائتلاف، وجنى الائتلاف على نفسه في حينها عندما استجاب للضغوط، وعندما تكون إفرازاً منتخباً من شعبك، ويجعلك، ويضعك في أكبر كتلة يجب أن تلتزم بما انتمك عليه شعبك؛ لذا الإرادة الوطنية الحقيقية تتجسد في هذا الحد الفاصل وهو أن نمثل الشعب، أما الضغوط الدولية والإقليمية أن نجعلها تتحكم إنما الحاكم هو المعادلات الشعبية، وغيرها يعتبر جنوحاً وخروجاً عن العملية الوطنية.

المقدم: البعض يفسر هذه بأنها توافقات مطلوبة بين فرقاء رئيسيين في العملية السياسية؟

الجعفري: التوافقات لا ينبغي أن تكون بديلة عن الوطنية والمواطنة وحق الوطن، وحق الشعب، الشعب يريد، ونحن نلتزم بحدود الخيارات التي لا تخرجنا عن الوطنية العراقية، والدستور العراقي، أما عندما نمسّ الدستور الذي اختاره الشعب فنحن نمسّ الإرادة، وهذا لا يمكن أن نخرجه، أو نفسره بأي تفسير آخر.

المقدم: هل هناك ضغوط أجنبية حالت دون رئاسة الوزراء؟

الجعفري: تواطؤ دولي - محلي.

المقدم: أميركي؟

الجعفري: أميركي، الإدارة الأميركية حتى أكون دقيقاً بالتعبير، وإدارات غربية مع أطراف عراقية.

المقدم: ألا تعتقد أن هذا التواطؤ سيكون حاضراً هذه المرة فيما لو طرح الموضوع؟

الجعفري: الظروف تبدلت، وعُوقبت هذه العناصر دولياً؛ لأن الشعوب حية، والشعوب تنتظر إلى الأشياء بمنظار واحد متجانس.

المقدم: هناك من يقول إن الدكتور الجعفري يطغى على شخصيته الجانب الثقافي وهذا لا يشكل عاملاً إيجابياً لرئيس وزراء أو زعيم سياسي في العراق لهذه المرحلة حيث الفساد منتشر وحيث البيروقراطية متكرسة وحيث الدوائر التي تعمل بمعايير الوضع السابق، ماذا تقول؟

الجعفري: يوجد نوعان من الثقافة، ثقافة فوقية تجريدية يعيش فيها الإنسان خيالات الكتب وليس لديه ثقافة اجتماعية، وثقافة تجربة، وكل تجاربي من عمل تنفيذي، فالفكر الذي استوحيته هو من عمق التجربة، وأنصح كل سياسي ما لم تكن لديه قدرة ثقافة من وحي التجربة عليه أن يتنحى، وبترك المجال للآخرين، فطبيعة إدارة الحكم وإدارة الوزارات ما لم يكن لك فكر تتحول إلى آلة تجني على نفسك، وعلى شعبك، الفكر الذي أحمله ليس فكر إسقاطات كتب إنما هو من وحي التجربة التي عشتها.. الفكر والثقافة مادة أساسية لكل سياسي.

المقدم: لكن في ظل الفوضى.. هل يحتاج المسؤول الأعلى اليوم إلى قدر كبير من الحزم إلى جانب الفكر والثقافة؟

الجعفري: بالتأكيد، ويجب أن يتحول إلى إنسان صارم وحازم، ولا يفرط، ولا يراوغ، ولا يكذب بالخطاب، ولا يعد بأمور غير قابلة للتطبيق، كل هذه يستوحيتها من التجربة.. بين كل حدث وقرار لا يوجد زمن وقياسي، ولا يجوز التأخير.

المقدم: لكن البعض يتهمك بأن مرحلتك كانت مرحلة تأجج الطائفية؟

الجعفري: بالعكس، كان هناك عصف طائفي يأتي من الخارج، وقمعناه، وأوقفناه.. انظر إلى المصدات ضد الحالة الطائفية من خلال تشكيل الوزارة المتنوعة التي أبيت إلا أن يدخل الإخوة أبناء السنة بحجم يتناسب مع حجمهم الاجتماعي الديمغرافي، وليس بحجمهم في داخل الجمعية الوطنية، وكانوا سبعة عشر فرداً.

المقدم: ألا تعتقد أن رئاسة الجمهورية من الأفضل أن تكون لشخص من العرب السُّنة؟

الجعفري: نعم.. قلتها منذ زمن، وكنت متأكداً من صحتها، وقد أثبت الواقع أنها صحيحة.

المقدم: لو طُبِّق هذا الرأي.. هل تعتقد أن العلاقات العراقية - العربية ستكون مختلفة؟

الجعفري: نعم.. ستكون مختلفة.

المقدم: ما المعوق أمام تطبيع عراقي - عربي؟

الجعفري: نفنقر إلى نظرية سياسية تقوم على أساس المصالح المشتركة، والمخاطر المشتركة، وليست المسألة أن بتبادل الزيارات وفتح السفارات فحسب، تربطنا بعلاقات العالم كله وخصوصاً دول الجوار مصالح مشتركة، وتوجد حقيقة جغرافية وحقيقة التاريخ وحقيقة المصادر الحيوية المختلفة.

المقدم: يدور الحديث عن وجود وجود نية أو احتمال تحالف الائتلاف الوطني العراقي مع التحالف الكردستاني وكتلة العراقية بغض النظر عن رئاسة الوزراء، ويجري حديث عن أن هذه الكتل التي ربما تشكل الحكومة القادمة؟

الجعفري: التحالف لابد منه؛ لأن طبيعة نظامنا ليس نظاماً رئاسياً والشعب يختار رئيساً، إنما أكبر كتلة برلمانية تختار مجلساً.

المقدم: فيما لو لم تتحقق الكتلة الأكبر؟

الجعفري: لابد من التحالف، ولا يوجد غير هذا الخيار في نظامنا الانتخابي.

المقدم: لكنه فُسرّ على أنه التفاف على كتلة دولة القانون؟

الجعفري: لنترك تفسير النوايا جانباً.. نحن نؤسس على مبدأ التحالف الذي لا بد منه على أساس المصالح الوطنية، وتحكّنا المبادئ والقيم، وليست عملية لف ودوران، وعملية تغيير الأمور من مجلس إلى آخر.. نحن نلتزم، ونحقق لصالح شعبنا، ونبرم العلاقات مع الآخرين، ولدينا وعي المشترك، ومادام هناك مشتركات وطنية يتحرك الجميع في إطارها فيوجد مجال لأن نتفق، ونصل إلى كيان سياسي يحكم البلد.